(١٠١) سورة القارعة

في رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية آياتها إحدى عشرة نزلت بعد سورة قريش تتحدث عن القيامة وأهوالها وشدائدها، كخروج الناس من القبور، وانتشارها كالفراش المتطاير هنا وهناك، يجيئون ويذهبون على غير نظام من شدة الفزع والحيرة، كما تتحدث عن نسف الجبال وتطايرها حتى تصبح كالصوف المتطاير.

ختمت السورة الكريمة بذكر الموازين التى تزن أعمال الناس، وانقسام الناس إلى سعداء وأشقياء.

وسميت بسورة القارعة، لأنها تقرع القلوب والأسماع والأفئدة بهولها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾

معانى المفردات:

القارعة: القيامة	كالفراش: ما يطير ويتهافت من النار
المبثوث: المتفرق المنتشر	كالعهن: كالصوف المصبوغ ألوانا
المنفوش: المفرق بالأصابع ونحوها	ثقلت: رجحت
فأمه: فمأواه ومسكنه	هاوية: الطبقة السابعة من النار

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ أى يوم القيامة

وأى شيء هى؟ إنها من الفظاعة بحيث لا يدركها خيال ولا يبلغها وهم إنسان فهى أعظم من أن توصف أو تصور ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ أى شيء أعلمك ما شأن القارعة فى هولها على النفوس؟ إنها لا تقرع القلوب فحسب بل تؤثر فى الأجرام العظيمة فتؤثر فى السموات بالانشقاق وفى الأرض بالزلزلة، وفى الجبال بالدك والنسف قال أبو السعود سميت القيامة قارعة لأنها تقرع القلوب والأسماع لفنون الأهوال والأفزاع ووضع الظاهر موضع الضمير ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ تأكيد لهولها ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾؟ بيان خروجها عن دائرة علوم الخلق، بحيث لا تكاد تنالها دراية أحد[1].

وبعد هذا التخويف والتشويق إلى معرفة شيء من أهوالها، جاء التوضيح والبيان بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ أى ذلك يحدث عندما يخرج الناس من قبورهم فزعين، كأنهم فراش متفرق منتشر هنا وهناك، يموج بعضهم فى بعض من شدة الفزع والحيرة ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ هذا هو الوصف الثانى من صفات ذلك اليوم المهول أى وتصير الجبال كالصوف المنتشر المتطاير فى الجو حتى تكون كالصوف المتطاير عند قيامها قال الصاوى: وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال، تنبيها على أن تلك القارعة أثرت فى الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالصوف المنفوش مع كونها غير مكلفة، فكيف حال الإنسان الضعيف المقصود بالتكليف والحساب[2] ثم ذكر حالة الناس فى ذلك اليوم وانقسامهم إلى شقى وسعيد.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أى رجحت موازين حسناته وزادت على سيئاته ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أى فهو فى عيش هنئ رغيد سعيد فى جنات الخلد والنعيم ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أى نقصت حسناته عن سيئاته، أو لم يكن له حسنات يعتد بها ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ أى فمسكنه ومصيره نار جهنم يهوى فى قعرها سماها أما لأن الأم مأوى الولد ومفزعه، فنار جهنم تؤوى هؤلاء المجرمين كما يأوى الأولاد إلى أمهم، وتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها قال أبو السعود: "هاوية" اسم من أسماء النار، سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها، روى أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا[3] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ

---

(١) أبو السعود ٥/٢٨١.

(٢) حاشية الصاوى ٤/٣٤٧.

(٣) تفسير أبى السعود ٥/٢٨٢

مَا هِيَهْ ﴾؟ استفهام للتفخيم والتهويل أى وما أعلمك ما الهاوية؟ ثم فسرها بقوله ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أى هى نار شديدة الحرارة، قد خرجت عن الحد المعهود فإن حرارة أى نار إذا سعرت وألقى فيها أعظم الوقود لا تعادل نار جهنم، أجارنا الله منها بفضله وكرمه.

الإعراب:

ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ	القارعة مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة، ما اسم استفهام للتعظيم فى محل رفع مبتدأ ثان، القارعة خبر المبتدأ الثانى وجملة المبتدأ الثانى وخبره فى محل رفع خبر المبتدأ الأول جملة اسمية والرابط هو إعادة المبتدأ بلفظه.
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ	الواو عاطفة، ما اسم استفهام للتعظيم فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك جملة فعلية فى محل رفع خبر، وجملة ما القارعة فى محل نصب مفعول أدراك الثانى والثالث لأن أدرى تنصب ثلاثة مفاعيل.
يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ	يوم ظرف منصوب بمضمر دلت عليه القارعة، يكون مضارع مرفوع، الناس اسم يكون مرفوع كالفراش جار ومجرور فى محل رفع خبر يكون المبثوث نعت مجرور وجملة يكون الناس فى محل جر بالإضافة للظرف ويجوز أن تكون "يكون" تامة والناس فاعل وكالفراش فى محل نصب حال.
وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ	الآية معطوفة على ماسبق وبنفس الإعراب.
فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ	الفاء تفريعية، وأما حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول فى محل رفع مبتدأ وجملة ثقلت موازينه صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، فهو الفاء رابطة لما فى الموصول من معنى الشرط، هو مبتدأ ثان، فى عيشة خبر المبتدأ الثانى وضميره فى محل رفع خبر المبتدأ الأول.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ	الآية معطوفة على الآية السابقة، أمه مبتدأ، هاوية خبر مرفوع والجملة فى محل رفع خبر من.
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ	الواو عاطفة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، أدراك هى الخبر جملة فعلية، وماهية المفعول الثانى والثالث لأدراك.
نَارٌ حَامِيَةٌۢ	نار خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى وحامية نعت مرفوع.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- التشبيه المرسل المجمل فى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ حيث ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه ومثله قوله تعالى ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ أى فى تطايرها وخفة سيرها.
- المجاز العقلى فى قوله تعالى ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أى راض بها صاحبها ففيه إسناد مجازى.
- الاستفهام فى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ وكذلك فى قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ والغرض من الاستفهام التفخيم والتهويل.
- وضع الظاهر مكان المضمر فى قوله تعالى ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ وذلك للتخويف والتهويل والأصل أن يقال القارعة ما هى.
- المقابلة بين قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ وبين قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾.
- الاحتباك وهو أن يحذف من كل نظير ما أثبته فى الأمر فى قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ حيث حذف من الأولى "فأما الجنة" وذكر فيها عيشة راضية وحذف فى الثانية "فهو فى عيشة ساخطة" فأمه هاوية" فحذف من كل نظير ما أثبته فى الأمر وهو من المحسنات البديعة.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.